﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤﴾

[مريم: 44]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

نَـهْـيُ الخليلِ أبـاه عـن عبادة الشيطان

لـمَّا بيّن إبراهيم ﷺ لأبيه آزر أنّه لا نفع فيما يعبده، ونبّهه على الوصف المقتضي لوجوب الاقتداء به، بيّن له ما في عبادة معبوده من الضرّ، ونفّره عن عبادة الشّيطان[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿عَصِيّٗا﴾: صيغة مبالغة على وزن فعيل من الفعل عصى، إذا خرج عن الطاعة، وعَصا أيضًا؛ إذا صَلُبَ واشتدّ، واستعصى عليه الشيءُ: اشتدَّ، واختلفوا في أصله فقيل: أصله أن يتمنّع بِعَصاهُ، وقيل: أصله الصلابة وعدم الانثناء أو الانقياد، والعاصي: الفَصيلُ إذا عَصَى أُمَّهُ في اتِّباعِها[2].

ومعنى وصف ﴿ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ بـ﴿عَصِيّٗا﴾ في الآية هو الدّلالة على عتوّ الشّيطان في العصيان، وأنّه ملازم لهذه الصفة، فلا جَرَم أنّه لا يأمر إلَّا بما ينافي الرّحمة، ويفضي إلى النّقمة[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

عـبـادة الأصنـام طاعة للشّيطان ومـعـصـيـة للرحمن

قال إبراهيم ﷺ لأبيه: يا أبت، لا تطع الشيطان فتعبد هذه الأصنام؛ إنَّ الشيطان كان للرحمن مخالفًا مستكبرًا عن طاعة الله[4].

وترشدُ الآية الكريمة إلى أنَّ من اتَّبع خطوات الشَّيطان فقد

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 205.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عصو).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 117.
(4) نخبة منَ العلماء، التّفسير الميسر، ص: 308.

اتخذه وليًّا، وكان عاصيًا لله بمنزلة الشيطان، وأنَّ في ذكر إضافة العصيان إلى اسم الرحمن، إشارة إلى أنَّ المعاصيَ تمنعُ العبدَ من رحمة الله، وتُغلق عليه أبوابَها، كما أنَّ الطاعة أكبرُ الأسباب لنيلِ رحمةِ الواسع الوهَّاب[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

سرّ تكرار النداء بلفظ ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ في الآية:

الـتـلـطّـف في الـخـطـاب استنزالًا لقبول الموعظة

تكرّر في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ النداء بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ مرّة بعد مرّة، وهو تكرير اقتضاه مقام استنزاله إلى قبول الموعظة لأنها مقام إطناب، ونظير ذلك بتكرير لقمان قوله: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ [لقمان: 13، 16، 17] ثلاث مرات، وهو بخلاف قول نوح لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ [هود: 42] مرّة واحدة دون تكرير؛ لأنّ ضيق المقام يقتضي الإيجاز وهذا من طرق الإعجاز[2].

دلالة النّهي في الآية:

صيغة النّهي تفيد التّحريم

ورد أسلوب النّهي في قوله ﴿لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾، والأصل في صيغة النّهي أنّها تفيد التّحريم إلا إذا وجدت قرينة تصرفه عن التحريم إلى غيره[3]، والنّهي مفيد لوجوب الترك، فدعا إبراهيم عليه السلام أباه إلى ترك عبادة الأصنام الّتي لا تنفعه شيئًا بل تضرّه وتجلب العذاب له، كما يدلّ النّهي على بطلان عبادة ما سوى الله؛ لأنّ النّهي يقتضي البطلان والفساد.

سرّ العدول عن (الأصنام) إلى ﴿ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾:

النفرة من الشّيطان مستقرّة في النّفوس

يظهر في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ العدول عن لفظ (الأصنام) إلى لفظ ﴿ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾؛ لأنَّ المراد بعبادة الشّيطان عبادة

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 495.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 115.
(3) ابن قدامة، روضة الناظر، ص: 202.

الأصنام، ونسبة الضلال والفساد إلى الشيطان مقرّرة في نفوس البشر، ففي الكلام إيجاز معناه: لا تعبدِ الأصنام؛ لأنَّ اتخاذها من تسويل الشّيطان للّذين اتخذوها ووضعوها للناس، وعبادتها من وساوس الشّيطان للّذين سنوا سنن عبادتها، ومن وساوسه للنَّاس الذين أطاعوهم في عبادتها، فمن عبد الأصنام فقد عبد الشيطان وكفى بذلك ضلالا معلوما، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾﴾ [النساء: 117]، وفي هذا تبغيض لعبادة الأصنام؛ لأنّ بغض الشيطان في قرارة نفوس النَّاس[1].

بلاغة المجاز في الآية:

إسناد الفعل إلى سببه من البلاغة

تضمّن قوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ مجازًا عقليًّا، فقد جاء في الآية النّهي عن عبادة الشّيطان، والمقصود النهي عن عبادة الأصنام التي تَسَبّب الشيطانُ في إغواء بني آدم وإيقاعهم في جرم عبادتها، فهو مجاز عقلي بإسناد الفعل إلى سَبَبه، والعلاقة السببية.

نوع (أل) في ﴿ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ ودلالتها:

دلالة تعريف الجنس على العموم

جاء لفظ ﴿ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ معرَّفًا باللَّام، ويمكن أن تكون (أل) هنا لتعريف الجنس، فيقتضي عموم الشياطين، والظَّاهر أن تكون (أل) فيه للعهد، أي الشّيطان المعهود وهو إبليس؛ لأنّ جميع المعاصي بتزيين هذا الشّيطان، والمزيّن يجري مجرى الفاعل له، وتدخل ذرّيّته فيه تبعًا[2].

دلالة فصل الجملة في الآية:

تعليل النّهي عن عبادة الشّيطان

وردت الجملة في قوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾ مفصولة عن الجملة قبلها وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾؛ لشبه كمال الاتّصال، وهو كون الجملة الثانية قويّة الارتباط بالأولى؛

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 116.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 1/ 94.

لوقوعها جوابًا عن سؤال يُفهم من الجملة الأولى، فتُفصل عنها كما يُفصل الجواب عن السّؤال[1]، وفي هذه الآية جاءت جملة ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيًّا﴾ تعليلًا للنهي عن عبادته وعبادة آثار وسوسته وهي الأصنام، فالعلّة كونه شديدَ العصيان للربّ الواسع الرحمة[2].

نكتة تتابع المؤكدات في الآية:

تنزيل غير المنكر منزلة المنكر إذا اقتضى السّياق التأكيد

تتابع في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيًّا﴾ عدّة مؤكدات، فافتتحت الجملة بـ ﴿إِنَّ﴾ الّتي هي أمُّ باب التّوكيد، ثمّ توسّطها الفعل ﴿كَانَ﴾ الدّال على الدّوام والاستمرار ورسوخ الصفة، والنّكتة في ذلك المبالغة في تأكيد شدّة عصيان الشّيطان للرّحمن ﷻ[3].

دلالة وضع المظهر موضع المضمر في الآية:

زيادة التنفير من الشيطان الرّجيم

تضمّن قوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيًّا﴾ أسلوبًا بلاغيًّا يتمثّل في وضع المظهر موضع المضمر، وذلك في تكرار ﴿ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ باللفظ دون الضمير العائد إليه، فكان الظّاهر في غير القرآن: (لا تعبد الشيطان إنّه كان للرحمن عصيًّا)، وذلك يُفيد زيادة التّنفير من الشيطان؛ لأن في ذكر صريح اسمه تنبيهًا إلى النّفرة منه، ولتكون الجملة موعظة قائمة بنفسها[4].

نكتة دخول ﴿كَانَ﴾ على خبر ﴿إِنَّ﴾ في الآية:

عصيان الرّحمن صفة راسخة مستمرّة في الشّيطان

ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيًّا﴾ استعمال الفعل الماضي ﴿كَانَ﴾، الّذي يأتي في الأصل للاتّصاف بالخبر في الماضي مع الانقطاع، غير أنّه يخرج لدلالة الدّوام والاستمرار بمعنى (لم يزل)، فتختص كان بمرادفة لم يزل كثيرًا، أي: إنّها تأتي

(1) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص: 180.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 117.
(3) الصعيدي، بغية الإيضاح: 1/ 47.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 117.

دالة على الدّوام[1]، وهي الدّلالة المقصودة في هذه الآية، فعصيان الشّيطان للرحمن ﷻ قديم مستمرّ في خلقته، وهي متقرّرة من وقت نشأة آدم ﷺ، حيث عصى الشيطان ربّه في السجود لآدم ﷺ.

وجهُ تقديم شبه الجملة في الآية:

جرم العصيان يعظم على قدر عظمة الآمر

تقدّم في قوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيًّا﴾ شبه الجملة ﴿لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ على خبر ﴿كَانَ﴾، والنكتة البلاغيّة في ذلك هي الاهتمام والتعظيم لقدر من عُصيَ وهو الرّحمن، فجُرم العصيان يعظم على قدر عظمة الآمر، فكيف بمعصية الرّحمن المستحقّ للشّكران لا العصيان.

نكتة التّعبير بصفة ﴿لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ في الآية:

شقاوة الشيطان بعصيان الرّحمن المستحق للعبادة والشكران

ورد في قوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيًّا﴾ التّعبير بصفة (الرحمن) دون غيرها من صفات الله تعالى، وذلك للتّنبيه على سعة رحمته سبحانه، وأنَّ مَن هذا وصفه هو الذي ينبغي أن يُعبد ولا يُعصى، وإعلامًا بشقاوة الشيطان إذ عصى من هذه صفتُه، وارتكب من ذلك ما طرده من هذه الرحمة، وإنْ كان مختارًا لنفسه عصيان ربّه لا يختار لذرّيّته إلا ما اختار لنفسه من العصيان[2]، وكذلك فيه التّنبيه على أنَّ عبادة الأصنام توجب غضب الرّحمن فتفضي إلى الحرمان من رحمته، فمن كانت هذه حاله فهو جدير بألَّا يُتّبع[3].

دلالة صيغة ﴿عَصِيًّا﴾ في الآية:

رسوخ صفة العصيان في الشّيطان

أطلِق في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيًّا﴾ وصف ﴿عَصِيًّا﴾ على الشّيطان، وقد جاء على وزن (فعيل)، وهو من صيغ المبالغة من اسم الفاعل؛ للدّلالة على عتوّ الشيطان في العصيان، وأنّه ملازم لهذه الصفة وأنّها راسخة فيه، فلا جرم أنه لا يأمر إلا

(1) السّيوطيّ، همع الهوامع: 1/ 120.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 229.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 117.

بما ينافي الرحمة، ويفضي إلى النقمة[1]، كما أنّه اقتصر على ذكر عصيانه من بين سائر جناياته؛ لأنّه ملاكها أو لأنّه نتيجة معاداته لآدم ﷺ فتذكيره داع لأبيه إلى الاحتراز عن موالاته وطاعته[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الشّيطان والجنّ:

شـيـوع لـفـظ الـشّـيـطـان في الكفرة من الجنّ

يظهر الفرق بين لفظي (الشّيطان) و(الجنّ) في أصل الاشتقاق، وفي علاقة العموم والخصوص بينهما، فالشيطان مشتقّ من (شطن) بمعنى بَعُد عن الخير، أو من (شاط) بمعنى احترق وهلك، أمَّا الجنّ فهو مشتق من الاجتنان بمعنى الاستتار والاختفاء.

وأمَّا علاقة العموم والخصوص بينهما، فإنَّ العرب تسمّي كلّ عاتٍ متمرّد من الجنّ والإنس والدوابّ شيطانًا، والعرب تسمي الحيّة شيطانا[3]، فالشياطين من الجنّ متمردوهم وأشرارهم، كما أنَّ شياطين الإنس هم متمردو الإنس وأشرارهم، وفيهم المسلمون من الأخيار الطيبين، كما في الإنس أخيار طيبون، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: 112]، ولقد قال النبيّ ﷺ: "الكَلْبُ الأَسْوَدُ شيطانٌ"[4]، كما يظهر الفرق بين الجنّ والشياطين في قول الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: "والجِنُّ عندَ أهلِ الكلام وأهلِ العِلم باللِّسانِ يُنَزَّلونَ على مراتِب، فإذا ذَكَروا الواحِد من الجِنِّ خالِصًا، قالوا: جِنِّيٌّ، فإن أرادوا أنَّهُ مِمَّن يسكُنُ مع النَّاسِ، قالوا: عامِرٌ، والجمعُ عُمَّارٌ، وإن كان مِمَّن يعرِضُ للصِّبيانِ، قالوا: أرواحٌ،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 117.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 415.
(3) الجوهري، الصحاح: (شطن).
(4) رواه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (510).

فإن خبُثَ وتَعرَّمَ فهو شيطانٌ، فإن زادَ على ذلكَ فهو مارِدٌ، فإن زادَ على ذلكَ وقوي أمرُهُ، قالوا: عِفريتٌ، والجُمعُ عَفاريتٌ"[1].

وهذا التفريق هو قول أكثر أهل العلم، وروي خبر عن الضحَّاك عن ابن عباس: أنَّ الجنَّ هم ولَدُ الجان وليسوا بشياطين، وهم يموتون، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر، والشياطين هم ولَدُ إبليس لا يموتون إلَّا مع إبليس[2].

(1) ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: 7/ 267، والشبلي، آكام المرجان في أحكام الجانّ، ص: 25.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 05.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 31 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-73-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 31 : المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-73-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»